واستحالة المستحيلات والعلم بأن المعلوم لا يخلو عن نفي وإثبات والموجود لا يخلو
من القدم والحدوث والخبر لا يخلو من الصدق والكذب وعد القاضي من ذلك
العلم بمجاري العادات وهذه الحجة التي احتجوا بها ليست صحيحة وإن كانت في بادي
الرأي شبهة إذ مدار الحجة على أنه لو لم يكن من العلوم لأمكن وجوده بغير العلم لعدم
الدليل على تلازمهما وهم يعبرون عن هذه النكتة بعبارات تارة يقولون إذا كانا
خلافين غير ضدين أمكن وجود أحدهما مع ضد الآخر كالحياة والعلم والقدرة وتارة
يقولون ما تقدم وتارة يجعلون ذلك كأنه مقدمة بينة أو مسلمة فيقولون لو لم
يكن من العلم لجاز أن يخلو العاقل عن جميع العلم وكل هذا ضعيف فإنه ليس كل خلافين
يجوز وجود أحدهما مع ضد الآخر بل الخلافان قد يكونان متلازمين من الطرفين
أو من أحدهما كالحس مع الحركة الإرادية وكالحس مع العلم الحاصل عقيب الإحساس
بل هذا شأن كل سبب تام بمسببه وكل معلول علته وكل متضايفين كالأبوة
والبنوة فإنهما خلافان ومع هذا إن تماثلا زمان لا يجوز وجود أحدهما مع عدم
الآخر فضلا عن ضده وقولهم لا دليل حينئذ على تعقب أحدهما الآخر ليس
بسديد لوجهين أحدهما أنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول عليه في نفس الأمر
فلا يكفي في نفي تلازمهما مجرد عدم دليله الثاني إذا قدر أن العقل هو الغريزة
كان العلم باستلزامه للعلم ضروريا لا يحتاج إلى دليل فإن وجود العلم مستلزم
للقوة التي هي شرط في العلم كما أن وجود السمع والبصر مستلزم للقوة التي بها
يسمع ويبصر والمشروط بدون شرطه محال وإن كان هذا شرطا في العادة والله
قادر على خرق العادة فإن الكلام في الواقع لا فيما يمكن وقوعه فأيضا إذا قيل
إن العقل اسم لمجموع الغريزة والعلم الحاصل بها كان ما ذكروه بعض مسمى العقل
فلا يوجد اسم العقل إلا مع وجوده وإن لم يكن هو مجموع العقل وأيضا فمن المعلوم
أنه يدخل في مسمى العقل الذي يختص به العقلاء من جلب المنفعة ودفع المضرة
وهذا ما يفرق به بين العاقل والمجنون في عرف الناس كما يفرق بينهما

بعلوم

بعلوم ضرورية فليس جعله اسما للعلوم الضرورية بأولى من جعله اسما للأعمال
الضرورية التي لا يخلو العاقل منها فإن من رأى يلقي نفسه في نار أو ما يغرقه
أو نحو ذلك من المضار التي لا فائدة فيها ونحو ذلك من الأفعال الخارجة عن
أفعال العقلاء سلب عنه العقل حتى ينتهي به إلى حد الجنون وإذا كان
كذلك فهم بين أمرين إن جعلوا أعمال العقلاء داخلة في مسمى العقل بطل قولهم
هو من جنس العلم فقط وإن قالوا أفعال العقلاء دليل على العلم الذي هو عقل
وكذلك أفعال المجانين دليل على فوات هذه العلوم قيل لهم فحينئذ فقد صار
العقل يستلزم أمورا ليست داخلة في مسماه فلا يمتنع حينئذ أن يقال هو
الغريزة المستلزمة لهذه العلوم كما قلتم هو العلوم المستلزمة لهذه الأعمال
السابع أن هذا مما يبين كذب هذا الحديث المروي كما رووه فإن العقل
إذا كان في لغة المسلمين هو عرض قائم بغيره لم يكن مما يخلق منفردا عن العاقل
وإنما يخلق بعد خلق العقلاء وأيضا فإن مثل هذا الخطاب ولا يقبل ولا يدبر
وأيضا فقوله ما خلقت خلقا أكرم علي منك لا يضاف إلى الله تعالى فإنه من المعلوم
فالله من المعلوم أن الأنبياء والملائكة أكرم على الله منه إذ كان في بعض صفاتهم
ولو قدر أن العقل في لغتهم يكون جوهرا وملكا وقدر أن هذا اللفظ يكون
قاله الرسول صلى الله عليه وسلم لم يجز أن يراد به ما يقوله الفلاسفة
ومن سلك سبيلهم لما بينا أنه يدل على أنه خلق قبله خلقا آخر وأيضا فقوله
بك آخذ وبك أعطي وبك الثواب وبك العقاب خصه بهذه الأعراض
وعندهم هو المبدع لكل ما سواه من العقول والنفوس والأفلاك والنفوس
العشرية والعناصر والمولدات فكيف يخصه بأربعة أعراض وأيضا فقوله لما
خلقه قال له أقبل فأقبل يقتضي أنه خاطبه في أول أوقات خلقه وعندهم
يمتنع أن يكون خلقه في زمان بل يمتنع أن يكون مخلوقا عندهم كما تقدم الثاني
إذ هؤلاء سمعوا في الحديث أن أول ما خلق الله القلم وهذا الحديث معروف
ليس مثل الأول رواه أبو داود في سننه عن النبي صلى الله عليه وسلم وروي
عن ابن عباس وغيره من الصحابة لكن السلف متنازعون هل المراد بذلك

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)